

ثلاث مقامات منسوبة إلى بديع الزمان الهمداني (ت398هـ/1008م)¹

الدكتور بلال الأرفه لي (الجامعة الأميركية في بيروت) *

الدكتور موريس بوميرانتز (جامعة نيويورك أبو ظبي) (**)



مقدمة مخطوط لمقامات الهمداني بمدرسة اللغات الشرقية والأفريقية، ورقة 2أ

- * بلال الأرفه لي: دكتور في الدراسات العربية في الجامعة الأميركية في بيروت ورئيس دائرة العربية ولغات الشرق الأدنى.
** موريس بوميرانتز: دكتور في الأدب العربي في جامعة نيويورك أبو ظبي.
¹ أفاد هذا البحث من منحة من مجلس البحوث في الجامعة الأميركية في بيروت وقد نقل هذه المقالة إلى العربية علاء كيالي، وقد نُشرت قبل بالإنجليزية:

Maurice A. Pomerantz and Bilal Orfali, "Three Maqāmāt Attributed to Badī al-Zamān al-Hamadhānī (d.398/1008)" *Journal of Abbasid Studies* 2 (2015). Leiden: Brill NV. Pages 38-60.

إلى عبد الفتاح كيليطو،
مُحِبِّ المقامات، موثوقة ومُزَيِّفة

الخلاصة

تقدّم هذه المقالة ثلاث مقامات جديدة منسوبة إلى بديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٨هـ/١٠٠٨م). تبدأ المقالة بلمحة عن الدراسات التي اهتمت بمجموع المقامات ومنها أبحاث مؤلّفي هذه المقالة عن مخطوطات مقامات بديع الزمان. فتناقش المقالة دلالات وجود هذه المقامات الثلاث فيما يقارب ربع مخطوطات مقامات الهمذاني، بما في ذلك مخطوط من القرن ١٣هـ/١٩م نُقل عن مخطوط من القرن ٦هـ/١٢م، وهو مخطوط سواس (مدرسة الدراسات الشرقيّة والأفريقيّة) رقم ٤٧٢٨٠. ثمّ يقدّم الباحثان عيّنة من المخطوطات المستخدمة في تحقيقهما النقديّ لهذه المقامات مع دراسة تحليليّة لنصوصها. وتأتي خلاصة المقالة لتتنظر في موثوقيّة هذه المقامات في ضوء المقامات الأخرى المنسوبة إلى الهمذانيّ.

(كلمات مفتاحيّة: مقامات، بديع الزمان الهمذانيّ، الأدب العباسيّ، النثر الفنّي)

I - تقديم

يُعتبر مجموع مقامات بديع الزمان الهمذانيّ (ت ٣٩٨هـ/١٠٠٨م) أحد أهمّ الأعمال الكلاسيكيّة في الأدب العربيّ كونها أسست للنوع الأدبيّ المعروف بالمقامات. فقد عمل كتّاب المقامة اللاحقون، من أمثال الحريريّ (ت ٥١٦هـ/١٢٢م)، على استيحاء شخصيات مقاماتهم وحبكاتهما وثيماتهما من مقامات الهمذانيّ وهم واعون بذلك التأتّر. ويذهب كلٌّ من ديفين ستوريت (Devin Stewart) وياكو هامين أنتيلا (Jaakko Hämeen-Anttila) في دراستهما الحديثّة إلى أنّ فنّ المقامة هو من أشدّ الفنون الأدبيّة أهميّة بين الآداب الشرق أوسطيّة.²

وفي حين أنّ مقامات الهمذانيّ قد مثّلت نموذجًا منهجيًّا لفنّ المقامات في ذهن كتّاب المقامة اللاحقين، فإنّنا نلاحظ اختلافًا واضحًا بين مجموع مقامات الهمذانيّ وبين أعمال هؤلاء الكتّاب. وإنّ من أهمّ هذه الاختلافات وأشدّها تأثيرًا في سياق دراسة المقامات عدم جمع الهمذانيّ للمقامات المنسوبة إليه على خلاف ما قام به الكتّاب اللاحقون.³

يتفق الباحثون القدماء والمحدثون على السواء في اعتبار مقامات الهمذانيّ نصًّا "مفتوحًا"، نظرًا إلى أنّ الهمذانيّ قد افتخر في مناظرته مع أبي بكر الخوارزميّ (ت ٣٨٣هـ/٩٩٣م) بتأليفه ما يزيد على ٤٠٠

² Hämeen-Antilla, *Maqama*; Stewart, "The maqāma".

³ Hämeen-Antilla, *Maqama*, 121.

مقامة⁴ بمعنى آخر لا يوجد نص نهائي لمجموع مقامات الهمذاني. ويفترض ياكو هامين أنتيلاً احتمالية وجود مجموعتين مختلفتين لأعمال الهمذاني متداولتين في حياة المؤلف أو بعد وفاته بفترة قصيرة.⁵

وجدير بالذكر أن أقدم مخطوط وصل إلينا لمقامات الهمذاني يتأخر قرابة القرن عن وفاة المؤلف؛ وهو مخطوط فاتح ٤٠٩٧ المنسوخ العام ٥٢٠/١٢٦م. يضم المخطوط أربعين مقامة مرتبة بشكل مغاير للترتيب المعتمد في الطبعة الشائعة للمقامات والتي حققها الشيخ محمد عبده. أما المخطوطان التاليان عليه تاريخياً فالأول مخطوط سواس ٤٧٢٨٠ ويعود إلى القرن ١٣هـ/١٩م وهو منسوخ عن مخطوط آخر مؤرخ العام ٥٦٢هـ/٧-١١٦٦م، بينما يعود المخطوط الثاني وهو مخطوط يال سالسبوري ٦٣ إلى تاريخ ٦٠٣هـ/١٢٠٦م. ويضم كل من هذين المخطوطين المقامات الأربعين ذاتها الموجودة في مخطوط فاتح ٤٠٩٧، وبالترتيب نفسه.

وعلى خلاف مخطوط فاتح ٤٠٩٧، يضم مخطوطا يال وسواس خمسين مقامة مرقمة. ونلاحظ في مخطوط يال أن سبعا من هذه المقامات (المرقمة ٣٧-٤٣) هي المسماة "ملح" الهمذاني في الدراسات عن المقامات. وقد نُشرت هذه الملح السبع ملحقاً لطبعة دار الجوائب في إسطنبول. أما المقامات الثلاث الباقية فتتضمن رسالة موسومة بأنها "ملحة" في إصدار إسطنبول، والمقامة المطبعية، والمقامة الطبية المكتشفة مؤخراً والمنشورة في مجلة أرابيكا.⁶

وكما نوهنا في مقالتنا السابقة عن المقامة الطبية، فإن وجود مقامات إضافية في مخطوط يرجع إلى القرن ١٢هـ/١٢م يحتم على الدارسين إعادة النظر في موثوقية المقامة الطبية والمواد المضمنة في جميع طبعات مقامات الهمذاني.

يضم مخطوط سواس، كما هو الحال في مخطوط يال، سبع ملح ترد في المخطوط باعتبارها مقامات (مرقمة ٤٤-٥٠). ويضم هذا المخطوط ثلاث مقامات إضافية (مرقمة ٤٨-٥٠)، ارتأينا أن نسميها: همذانية وشريفية (مقامة ورسالة) وخاتمية. وكما نهجنا في مقالتنا السابقة عن المقامة الطبية، نقدم في هذه المقالة أول منشور لهذه المقامات الثلاث مع دراسة عنها.

إن اكتشاف ثلاث مقامات جديدة منسوبة إلى الهمذاني في مخطوط سواس يثير صعوبات عدّة تختلف عن تلك التي أثرناها في مقالتنا حول المقامة الطبية. ذلك أن مخطوط سواس، وكما ذكرنا سابقاً، يرجع إلى القرن ١٣هـ/١٩م، وهو نسخة عن مخطوط يرجع إلى العام ٥٦٢هـ/٧-١١٦٦م. وترد هذه المقامات أيضاً في تسع مخطوطات أخرى ترجع إلى الفترة ما بين القرنين ١١ و١٣هـ/١٧ و١٩م.

Rowson, "Religion and Politics", 669, note 84. ⁴

Hämeen-Antilla, *Maqama*, 118-121. ⁵

Orfali and Pomerantz, "A Lost Maqāma", 248. ⁶

II - المخطوطات المستخدمة في هذا الإصدار

استُخدمت المخطوطات الأحد عشر التالية في إعدادنا لهذا الإصدار:

دمشق، مكتبة الأسد 7869 (1243هـ/1827م)

ط ١ طهران، كتابخانه ومركزي إسناد مجلس شوراي إسلامي ٣٠٣ (1270هـ/1853م)

ط ٢ طهران، كتابخانه ملي جمهورى إسلامي إيران ٨٠٤٦ (دون تاريخ).

ط ٣ طهران، كتابخانه ومركزي إسناد مجلس شوراي إسلامي ٦٣١ (القرن 13هـ/19م)

ط ٤ طهران، كتابخانه ومركزي إسناد مجلس شوراي إسلامي ٥٧٦٤/٢ (1278هـ/1861م)

م طهران، مكتبة ومتحف ملك الوطنية ٢٣٥٨ (1243هـ/1827-٨م)

ل لندن، سواس ٤٧٢٨٠ (القرن 13هـ/19م) وهو مخطوطة مؤرخة ٥٦٢هـ/٧-١١٦٦م.

و مخطوط مجهول الأصل مُقدّم من قِبَل الباحثة د. وداد القاضي

إ جامعة إسطنبول ١٢٢٧ (دون تاريخ)

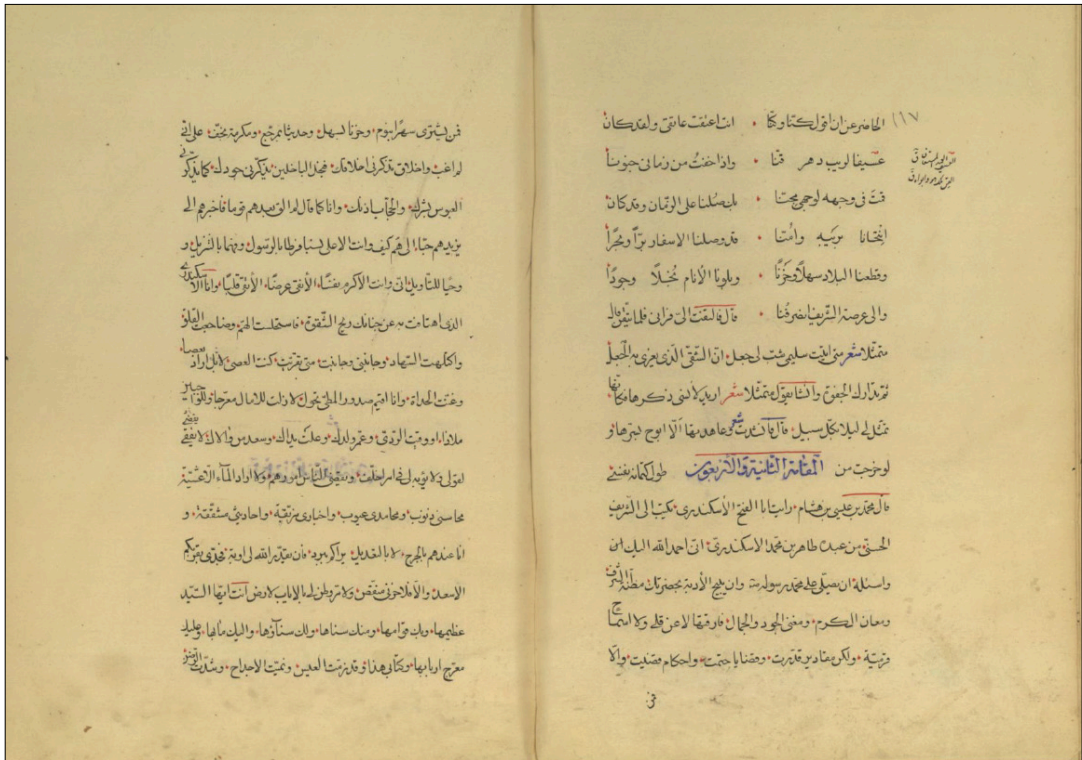
ب برنستون ٢٠٠٧ (دون تاريخ)

ن مخطوط إدنبرة، شرقيات ٤٩ (القرن 11هـ/17م)

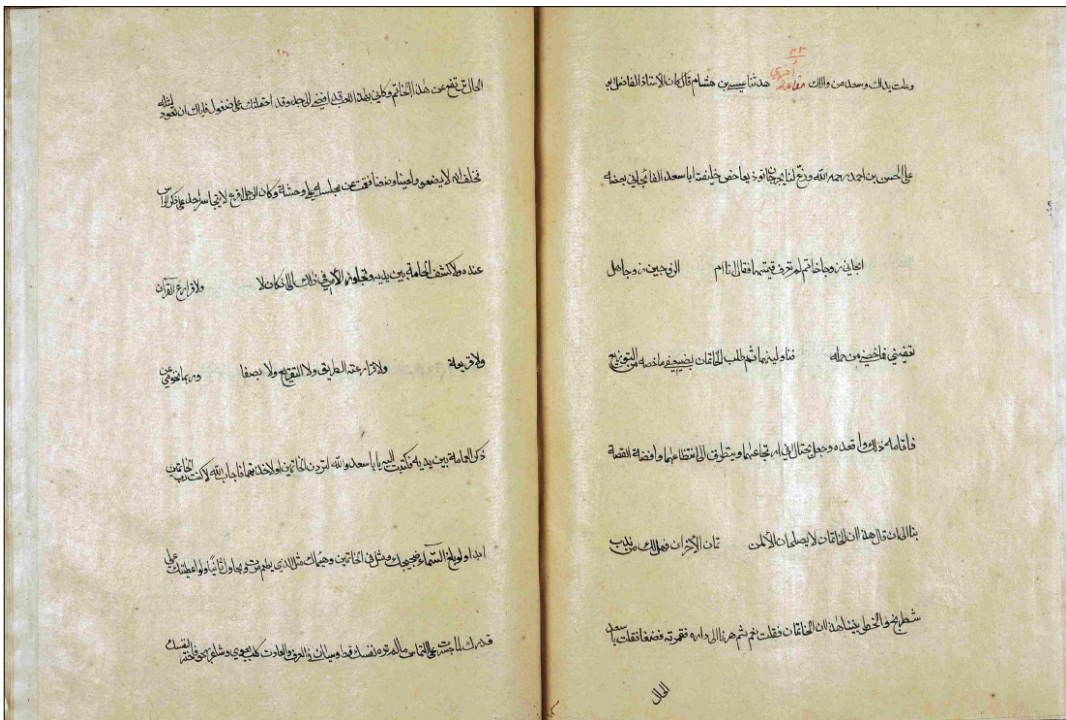
تتشارك المخطوطات: د، ط١، ط٢، ط٣، ط٤، ل؛ بأنماط متشابهة من التوافقات والاختلافات فيما بينها. كما تُولف المخطوطات: و، إ، ب مجموعة مختلفة مع تقارب في مادّتي إ، ب. ويُولف مخطوطا: إ، ب، أفضل هذه المخطوطات. مخطوط: ل جيّد جدًّا، غير أنّ فيه ثغرات عديدة لم تُشر إليها في هوامش التّحقيق كي لا تُنتقل النّص. ونلاحظ في هذا المخطوط أنّ النّاسخ قد ترك بعض الفراغات لكلمات وعبارات نرجّح عدم تمكّنه من قراءتها.

قُلْتُ هَلَّا سَرَحَتْ وَاسْتَرَحَّتْ فَأَوْحَى إِلَى عَضُودٍ وَأَخَذَ
 فِي شِدْوِهِ وَأَنْشَأَ يَقُولُ ، لِي تَحْتَ الَّذِي لَيْسَ يَسْفُلُ لَسْتُ
 أَخُو أَنْقِرَابِهِ ، قَدْ حَمَانَا ظَهْرِي وَقَدْ لَمَطَ فِي بَنِي عَدَايَةِ . ابْنُ يَمِّ
 يَجْعَلِي لَنَا خُرُطُومَ فَيْبِلٍ فِي اتِّضَائِهِ مَقَامَةً أَحْمَرِي
 قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ مَرَّتْ أَمْتُ بِي أَحْدَاثُ الرِّمَانِ وَطَهْمَاتُ
 اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ حَتَّى حَطَطْتُ رَحْلِي بِهَذَا بَلَدِي عَاثِرَ
 الشَّرِيفِ الْحَسَنِيِّ فَأَمَّتْهُ وَأَذِنَ لِي ذَنْبُهُ فَلَمَّا تَمَكَّنْتُ سَوَّ
 مَجْلِسِيهِ بَعْدَ قَضَاءِ الْحَقِّ بِالْحَيَّةِ وَالشَّنَائِ وَأَحْسَنَ الرَّدِّ
 مَحَطَّتْ جُلْسَاهُ فَأَذَى الْمُنْتَهَى لِابْنِ الْمَشْرِفِ الْكَاتِبِ
 وَالتَّانِي بِالذِّسْكَةِ قَدْ عَاوَدَ الدَّعْوَةَ الْأُولَى وَأَنْتِي تُبْعِدُ
 فَهَوِيْمُ بِالرِّصَافَةِ وَالْجَسْرُ وَالْجِلْدُ وَالْقَنْطَرَةُ وَالْبِرْدَانُ
 وَالْكَرْخُ وَكَرْخَايَا وَالْفَصِيلُ وَالْمَخْدَقُ وَبَيْنَ السُّوَيْسِ وَ
 الرَّقَّةِ وَقَطْرُ بَيْلٍ وَتِلْكَ الْحَانَاتِ وَالْأَزْقَةُ وَالسُّوَارِعُ

مخطوط جامعة إسطنبول ١٢٢٧، الورقة ١٩٢ أ



مخطوط طهران مجلس ٥٧٦٤/٢ الورقة ١٢٤ب-١٢٥أ



مخطوط سواس ٤٧٢٨٠ الورقة ١٢٢ب-١٢٣أ

[المقامة الهمذانية]

قال عيسى بن هشام: ترامت بي أحداثُ الزَّمانِ وطَمَحَاتُ اللَّيالي والأَيَّامِ، حتَّى حَطَطْتُ رَحلي بهَمَذان،⁷ بَلَدِ رَعَامَةِ الشَّرِيفِ الحَسَنِيِّ،⁸ فَأَقَمْتُهُ، وَأَذِنَ لي⁹ إِذْنَهُ. فَلَمَّا تَمَكَّنْتُ سِوَاءَ مَجْلِسِهِ، بَعْدَ قَضَاءِ الحَقِّ بِالنَّحِيَّةِ وَالثَّنَاءِ وَحُسْنِ الرَّدِّ، لَحَظْتُ جُلُوسَهُ إِذَا المَنْتَمِي لِابْنِ¹⁰ المُشْرِفِ الكَاتِبِ وَالثَّانِي بِالدَّسْكَرَةِ قَدِ عَاوَدَ الدَّعْوَةَ الأُولَى وَانْتَمَى لِبِعْدَادِ فَهُوَ يَهْتَمُّ¹¹ بِالرُّصَافَةِ وَالجِسْرِ وَبِالجِلْدِ¹² وَالفَنْطَرَةِ وَالبَرْدَانِ وَالكَرْخِ وَكِرْخَايَا وَالفَصِيلِ وَالحَنْدَقِ وَبَيْنَ السُّوَيْسِ وَالرِّقَّةِ وَقُطْرُيْلٍ، وَتِلْكَ الخَانَاتِ¹³ وَالأَزْرَقَةَ وَالشُّوَارِعَ،¹⁴ وَقَدِ خَرَجَ وَاللَّهِ فِي مَسَلِّكَ الشَّاعِرِ، فَهُوَ وَلَا دِعْبِلُ وَدَوُوهُ وَلَا ابْنُ هَانِي وَأَضْرَابُهُ مِنْ نَصْرِ بْنِ أَحْمَدَ¹⁵ شَاعِرِ البَصْرَةِ، وَهَذَا المُتَنَبِّي شَاعِرُ الشَّامِيِّينَ لَكِنَّهُ لِلحَسَنِيِّ¹⁶ مَثُولُ الكَعْبِ الرَّاتِبِ، وَرَفَعَ عَقِيرَتَهُ بِصَوْتِ جَهِيرٍ وَصَوْتِ¹⁷ كَأَنَّهُ¹⁸ قَصَبٌ¹⁹ أَجَشُّ مُهَضَّمٌ [مِنْ الخَفِيفِ]:

كُلَّمَا قِيلَ دَيْرٌ حَنَنْتُهُ حَنًّا	مَنْ مُعِينِي عَلَى فُؤَادٍ مُعْنَى
بِ خَبَايَا جَنَانِهِ أَنْ يُجَنَّا ²¹	وَلَقَدْ كَادَ مِنْ تَذَكُّرِهِ ²⁰ طِي
هُ وَكَيْفَ السُّلُوءِ عَنْهُ وَأَتَى	أَيْنَ ذَاكَ الزَّمَانُ لَا أَيْنَ فَاذْدُبْ
بِ التَّصَابِي فَقَلْتُ كُنَّ فَبِنَّا	سَأَلْتَنِي عَنِ الزَّمَانِ وَلَيْلَا
لَا بِشَيْبٍ أَنَاخَ بِي فَأَبْنَا	مَرْحَبًا بِالشَّبَابِ بَانَ ²² وَلَا أَهْ
دِي إِلَّا اسْتَهَلَّ شَأْنِي وَشَنَّا	لَا ²³ وَتِلْكَ الأَيَّامُ مَا ذُكِرْتُ عِنْدُ

7 ب: في همذان.

8 ن: الحسيني.

9 ط، ٢، ٤، ل، م، د: وأذن.

10 ط: المُسَمَّى بِابْنِ، ن: المُسَمَّى لِابْنِ.

11 ط، ٢، ٣، ل، م، إ، ن: يهتَمُّ.

12 الجلد: سقطت من ط ٣، ط ٤.

13 ط، ٤، د، و، ب، إ، ن: الحانات.

14 ل: والشوارع والأزقة.

15 ط، ٢، ٣، ٤، د، م، و، ب: نصر أحمد. ن: يضرب أحمد.

16 ن: للحسيني.

17 صوت: سقطت من ن.

18 كأنه: سقطت من ط ٣، ط ٤.

19 قصب: سقطت من ط ١، ل: قضيب.

20 و: تذكرة.

21 ولقد... يجنا: سقطت من ط ٢، ط ٣، ط ٤، د.

22 بان: سقطت من ط ٣. م: بان بالشباب.

23 لا سقطت من م.

يا ليالي بالمطيرة والكُر
هل إليك لي معاد سقيتَن
هَيْدَبًا كُلَّمَا أَرَأَيْتَ هَوَادِي
عاشِقًا زَهْرَةَ الرِّياضِ إِذا اسْتَدَّ
كالشَّريفِ الَّذِي إِذا ذُكِرَ المَجْدُ
وَإِذا جال²⁷ في عِراصِ المَعالي²⁸
قُلْ لِرَيْبِ الزَّمانِ دُونَكَ مَنْ شُدَّ
في ذِمامِ الشَّريفِ ذِي المَجْدِ والجو
عَذْبُ ماءِ العِطاءِ³⁰ سائِعُ شَرِبِ النَّدَى
يا ابنَ خَيْرِ الوَرى وَمَنْ فَتَحَ اللدَّ
أَنْتَ أَغْنَيْتَنِي بِإِحسانِكَ الحَا
أَنْتَ أَعْتَقْتَ عانِقِي ولقد كا
وَإِذا خِفْتُ من زَماني جُنونًا
بِكَ صُلنا على الزَّمانِ وَقَد كا
قَد وَصَلنا الأَسفارَ بَرًّا وَبَحْرًا
وَبَلَّونا الأَنامَ بُخلاً وَجودًا

خ فداراتها إلى دِير²⁴ قُنَّا
رُكامًا مُستأرِضًا مُرَجَجًا
ه²⁵ تَرَأَيْتَ أَعْجازُهُ فَارْتَعَنَّا
كَرَّ مَعْشوقُهُ بَكَى فَأَرانًا
دُ احْتَبَى²⁶ لِلحِياهِ فَرَضًا وَسَنًا
مَرَّ فيها قَبًّا وَشَنًّا وَعَنَّا
بَتَّ سِوانا على سِواءِ فَإِنا
دِ وَحُسنِ حُصنِ²⁹ العُلى فاعلُ عَنَّا
يَلِ لا يُنْبِغُ العِطِيَّةَ مَنَّا
ه³¹ عَلينا بِراحتَيْهِ وَسَنًا
ضِرِّ عَنِّ أَنْ أَقولُ كُنَّا وَكُنَّا
نَ عَسيفًا لَرِيبِ دَهْرِي قِنَّا
قُمتَ في وَجْهِهِ لَوَجْهِهِ مِجَنَّا
نَ امْتِحانًا بِرِيبِهِ³² وَأَمَنَّا
وَقطَعنا البِلادَ سَهلاً وَحَزَنًا
وَإلى عَرَصَةِ³³ الشَّريفِ انصَرَفنا

قال فالتفت إلي فرآني، فلما تيقن إلي قال مُتمثلاً [من البسيط]:³⁴

متى أتيتُ سُلَيْمى سَبَّ لي جَعَلُ
إِنَّ الشَّقِيَّ الَّذِي³⁵ يُغري بِهِ الجَعَلُ

²⁴ و: دار.

²⁵ و: هواريه.

²⁶ م: اجتبى.

²⁷ ل: جاء.

²⁸ ط: المعاني.

²⁹ ط، م، ب، ن: حُسْنُ حُصْن. ط، ٢، د: حُسن. ط، ٣، ٤: حِصن. ولا يستقيم الوزن بأيّ منها.

³⁰ ط، ١، ٢، ٣، د، ل، م، إ: العطايا. ولا يستقيم الوزن به.

³¹ ن: قد فتح الدرّ. ولا يستقيم الوزن به.

³² ط، ٢، د: برأسه. ب: بريبة.

³³ ل: مهمه.

³⁴ من شواهد النحويين، وفي معظم المصادر: إذا أتيت...؛ انظر: ديوان المعاني الكبير لابن قتيبة، بيروت دار الكتب العلمية، ١٩٨٤.

ص ٦٢٨. (وتخريج البيت في الهامش).

³⁵ الذي: سقطت من ط١.

ثم تدارك الجفوة وأنشأ يقول متمثلاً [من الطويل]:³⁶

أريدُ لأنسى ذِكْرَها فكأنما³⁷ تمثّل لي لئلي بكنّ سبيل

قال فأشدت [من الطويل]:

وعاهدتها ألا أبوح بسرّها ولو خرّجت من طول كتمانها³⁸ نفسي

[مقامة ورسالة لأبي الفتح الإسكندري]

قال محمد بن عيسى بن هشام: رأيتُ أبا الفتح الإسكندريّ يكتب إلى الشريف الحسيني من عبده طاهر بن محمد الإسكندريّ:

إنّي أحمدُ إليك الله³⁹ وأسأله أن يُصليّ على محمدٍ رسوله⁴⁰ صلى الله عليه وآله وسلّم، وأن يُبيح⁴¹ الأوبة بحضرتك، مظنة الشرف ومعاني الكرم ومعنى الجود والجمال، فارقتها لا عن قلى ولا إسماع قرينة، ولكن مقادير فدرت وقضايا ختمت وأحكام فضيت، وإلا فمن يشتري سَهراً بنومٍ وحرّاً بسهلٍ وحديثاً بمزجّعٍ ومكرمةً بحسّفٍ،⁴² على أنّي لم أغب وأخلاقٌ تذكّرني أخلاقك، فبخلُ الباخلين يذكّرني جودك، كما يذكّرني العبوسُ بشركٍ والحجابُ إذنك، وأنا كما قال [من البسيط]:

لم ألقَ بَعْدَهُمُ قوماً فأحبرُهُمُ إلا يزيدُهُمُ حُبّاً إليّ هُمُ⁴³

وكيف وأنت الأعلى نسباً، فرطاً بالرسول وفهماً بالتنزيلِ ووحيّاً للتأويل،⁴⁴ أنتى وأنت الأكرمُ نفساً الأتقى عرضاً الأتقى قلباً، وأنا الإسكندريّ الذي اهتافتُ به عن جنابك ریح الشفوة، فاستخلصت⁴⁵ الهَمَّ وضاجعتُ القلقَ واكتحلتُ السهادَ، وجانبني وجانبتُ الرقادَ،⁴⁶ متى تقرّبتُ كنتَ العصا لإبلٍ أرادَ بَعْصاً، لا يُغضى

³⁶ نُسب البيت إلى كثير عزة في خزنة الأدب للبغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠٠، ج ١٠: ص ٣٢٩. وهو في ديوانه، تحقيق قنري مايو، بيروت: دار الجيل، ١٩٩٥. ص ٢٧٦؛ ونُسب إلى جميل بن معمر في الوافي بالوفيات للصفدي، تحقيق الأرنؤوط وزكي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٠، ج ٣: ص ٦٠.

³⁷ طء، د، و، ل، إ: فكأنها. ب: لكأنما.

³⁸ و: كتمانها.

³⁹ ط١، ط٢، ط٣، ط٤، د: الله إليك. ل: الله.

⁴⁰ و، ب: رسوله محمد.

⁴¹ و، إ: يتيح.

⁴² ط٣: بسخف.

⁴³ ل: اللهم. والبيت لمرار (أو زياد) بن منقذ العدوي من قصيدة في معجم البلدان لياقوت الحموي، بيروت: دار صادر، د. ت، ج ٣: ص ٤٢٧.

⁴⁴ م: بالتأويل.

⁴⁵ و: فاستجليت.

⁴⁶ وجانبت: سقطت من ط٣، ط٤.

لقولي ولا يُؤبَهُ⁴⁷ لي في أمرٍ، أَخْلَفُ وَيَقْصِي النَّاسُ أُمُورَهُمْ، وَلَا أَرِدُ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَّةً، محاسني ذنوبٍ ومحامدي عُيوبٍ وأخباري مُزَيَّعةٌ وأحاديثي مُشَقَّقةٌ،⁴⁸ وأنا عندهم بالجرح لا بالتعديل، يبرأ بكم بردٌ،⁴⁹ فإن يقدر الله لي أوبةً فجدِّي بِقُرْبِكُمْ الأُسْعَدَ، وإلَّا فلا حُزْني مُنْقَصٌ ولا حَرٌّ، ومن⁵⁰ لي بالإيابِ لأَرْضِ أَنْتِ أَيُّهَا السَيِّدُ عَظِيمُهَا وبِكِ قِوَامُهَا ومنكب سَنَامُهَا⁵¹ ولكِ سَنَانُهَا⁵² وإليكَ⁵³ مَأْبُهَا وعليكَ مُعَرَّجُ أَرْبَابِهَا، وكتابي هذا وقد رُمَّتِ العيسُ ونُمِّيتِ الأَحْدَاجُ وشَدَّتِ الوُضُنُ وفَرَطَتِ الهُدَاةُ وَعَنَّتِ الحُدَاةُ، وأنا أَقِيمُ⁵⁴ صَدُورَ المَطْيِ نحوك، لا زلتُ للآمالِ مُعَرَّجًا وللراجينِ مَلَاذًا ووُقيتُ الرَّدَى وعَمِرَ وَذُكُ وَعَلَّتْ يَدَاكَ وَسَعَدَ من والاكِ.⁵⁵

[المقامة الخاتمية]

حدَّثنا عيسى بن هشام قال: كان الأستاذُ الفاضلُ أبو عليِّ الحسن⁵⁶ بن أحمد رحمه الله ورَّع لنا بجرجانِ توزيعةً خصَّ خليفته أبا سعد القايجانيَّ بعضه، وكان عند القايجانيِّ رُوجًا خاتم لم يُعرَف قيمتُهما،⁵⁷ فقال أنا أعطيك من هذين الرُّوجينِ رُوجًا، هل تعفيني ممَّا خصَّني⁵⁸ من جُملةِ تَوَزِيْعِكَ؟ فناولنيهما،⁵⁹ ثُمَّ طَلَبَ الخَاتِمَانِ⁶⁰ بضِعْفِي مَا حَصَّهُ من⁶¹ التَّوَزِيْعِ. فأقامَهُ ذلكَ وَأَقْعَدَهُ⁶² وجعل يَحْتَالُ في ارتجاعِهما ويتطرَّقُ إلى انتزاعِهما، وأفصتِ القصةُ بنا إلى أن قال هذان الخاتمان لا يصلحان إلا لمن مَعَهُ الخاتمانِ الآخرانِ، فهل لك من نَدَبِ شِطْرُنْجٍ وَالْحَطَرِ بينهما⁶³ هذان الخاتمان؟ فقلتُ نعم، ثُمَّ صَرْنَا إلى دارِهِ فَقَمَرْتُهُ فضعًا،

47 ل: ولأبويه.

48 ط: مُنْتَقَة.

49 كذا في ط ١، ٢، ٣، د، ل. وسقطت من و، ب. ط: يراكم بيرد. م: يبرأ بكم بيرد. إ: سرايكم بيرد.

50 ط: ولمن.

51 ط ١، ٢، ٣، ط ٤، ل، م، إ: ومنك سناها.

52 ط ٢، ٣، ط ٤، د، م، ب، إ: ولك سناؤها.

53 م: وإلَّا إليك.

54 ل: عقيم.

55 م: وافاك.

56 م: بن الحسن.

57 ط ١، ٢، ٣، م: قيمتها.

58 إ: خصصتني.

59 م: فناولنيها.

60 ط ٢، ٣، ط ٤: طَلَبَ الخَاتِمِينَ.

61 من: سقطت من ط ٣.

62 و: فأقلقه ذلك وأرقده.

63 ل: بيننا.

فقلتُ يا أبا سَعْدٍ، الحال تَرْتَفِعُ عن هذا الخاتم، وكأني بهذا اللَّعِبِ قد أَفْضَى إلى جِدِّ، وقد اِخْتَمَلْتُكَ على⁶⁴ صَغُوكَ فإِيَّاكَ أن تَعَوَّدَ لِمِثْلِهِ، فَحَلَفَ أَنَّهُ لا يَضْغُو، ولَعَبْنَا وَضْغًا، فَقَمْتُ عن مَجْلِسِهِ على وَخْشَةٍ، وكان الرَّجُلُ أَقْرَعَ لا يَتَجاسِرُ أَحَدٌ على ذِكْرِ الرَّأْسِ عِنْدَهُ ولا كَشْفِ الهَامَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وتجاوزَ الأمرُ في⁶⁵ ذلك إلى أن كان لا القِرْعُ ولا القِرَاعُ ولا المَفْرَعَةُ ولا قِوَارِعُ القِرآنِ⁶⁶ ولا قَرِيعَةٌ وسطِ قَوْمٍ ولا القارِعَةُ ولا قارِعَةُ الطَّرِيقِ ولا التَّفْرِيعُ ولا بَصْفًا المُشَرِّقِ كُلِّ يَوْمٍ تَفْرَعُ،⁶⁷ وربما تحومِي عن ذِكْرِ العِمَامَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فكَتَبْتُ إليه: يا أبا سَعْدٍ، والله لَتَرُدَّنَّ الخاتَمينِ أو لَأَخَذَنَّهُما مِنكَ، فأجاب: والله لا كُنْتُ رَبَّ الخاتَمينِ أَبَدًا ولو بَلَغَ السَّماءَ ضَجيجُكَ، ومثَّلَكَ في الخاتَمينِ وهبْتُهُما لك مَثَلُ الذي يُطْعَمُ مَرَّةً ويحاولُ ثانيًا، ولو أعطيتُكَ على قَدْرِكَ لما جَسَرْتُ⁶⁸ على التماسِ ما لم تَرَهُ على نَفْسِكَ قَطُّ، وسيانِ في العُرفِ والعادةِ كَلْبٌ يَعوي وشاعرٌ يَهْجُو، فاخْتَرُ لِنَفْسِكَ ما تَخْتارُ فلن يَصْغُبَ تقويمُكَ وتأديبُكَ والسَّلامُ. فكَتَبْتُ إليه⁶⁹ [من الوافر]:⁷⁰

أبا سَعْدٍ رُوَيْدَكَ في مَراسِكَ	ولا تُبْرِزُ بَكَيْدِكَ لي وباسِكَ
أَنْفَمِرُنَا رُبيدُهُ ثم تَضْغُو	وتوعِدُنِي وَعِنْدَكَ سُورُ كاسِكَ
أَعْرَكَ قَرطُ جِلْمِي واِخْتِمالي	لِرَجْعِكَ خاتَمِي بل اِخْتِباسِكَ
فإن لم أرْتَجِعْهُ مِنكَ صُغْرًا	فَتَحْتُ عَمامَتِي راسِي كَراسِكَ

فلما أتته الأبيات أخذته ما قَدُمُ⁷¹ وما حَدَّتْ وما كان يَظُنُّني أبلُغُ معه هذا المبلَغُ. وكَتَبْتُ إلي: يا فاعلُ يا صانعُ والله لأبذلُّ ألفَ دِرْهَمٍ عليك ولأَقْطِيعَنَّ لِسانَكَ ولتَعْلَمَنَّ نَبأَهُ بَعْدَ حينٍ.⁷² فكَتَبْتُ إليه [من مجزوء الرجز]:

أَنْتَ وإنِ اسْمَعْتَنِي	فلا أرى أنْ اسْمِعَكَ
إِضْغِ لِنُضْحِي وَأَزِلْ	عن اِخْتِمالي طَمَعَكَ

⁶⁴ ط ١، ط ٢، ط ٣، ط ٤، د، م: عن.

⁶⁵ و: إلى.

⁶⁶ ط ٣: القوارع.

⁶⁷ عجز بيت لأبي ذؤيب الهذلي من عينيته المشهورة، وصدرة: حتى كأني للحوايد مروة، انظر: ديوان الهذليين، القاهرة: مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٣، ج ١: ص ٣.

⁶⁸ و: جرأت.

⁶⁹ فكتبت إليه: سقطت من و.

⁷⁰ الأبيات ١ و ٣ و ٤ في ديوان بديع الزمان الهمذاني، دراسة وتحقيق يُسري عبد الغني عبد الله، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٧، ص ٨٧.

⁷¹ و: تقدم.

⁷² سورة ص: ٨٨.

فَعَلِمَ أَنَّ بَابَ الصَّوَابِ غَيْرُ الَّذِي يَقْرَعُ وَأَنَّ طَرِيقَ التَّوْفِيقِ سِوَى الَّذِي يَسْلُكُ، فَاسْتَعَانَ بِالْكِتَابِ عَلَيَّ
يَسْأَلُونِي الْعَفْوَ عَنْهُ، وَأَخَذْنَا الْخَاتَمِينَ مِنْهُ، وَقَصَدُونِي فَاحْتَجَبْتُ، ثُمَّ كَتَبُوا إِلَيَّ: كُنَّا قَصَدْنَاكَ فَلَمْ يَتَّعِقِ اللَّقَاءُ،
وَقَدْ كُنَّا قَصَرْنَا الْقَصْدَ عَلَى الْحَالِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْأَسْتَاذِ الْخَطِيرِ أَبِي سَعْدٍ لِنُعِيدَهَا⁷³ وَنَسْتَدْنِي بِعِيدِهَا وَنَذْكُرُكَ
الْمَمْلَكَةَ⁷⁴ وَنَسْأَلُكَ الْمَصْلَحَةَ وَيَخْرُجُ كُلُّ مَنْ مِّنْ قَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ إِلَيْكَ إِنْ أُوجِبَتْ. فَكَتَبْتُ إِلَيْهِمْ [مِنْ مَجْزِئِ
الرَّمْلِ]:

سَادَتِي يَا مَعْشَرَ الْكُذِّ	أَبِ يَا أَهْلَ الرَّعَامَةِ
قَدْ جَرَّتْ بَيْنِي وَبَيْنَ الْ-	قَائِجَانِي ظَلَامَةً
فَاسْمَعُوا مِنِّي كَلَامِي	وَاسْمَعُوا مِنْهُ كَلَامَهُ
وَاحْكُمُوا بِالْحَقِّ لَا تَأْ	خُذْكُمْ فِيهِ مَلَامَةً
وَاطْرَحُوا الْمُرَّ مِنَ الْعَذِّ	لِ أَمَامِي وَأَمَامَهُ
وَإِذَا قُمْتُمْ لِأَمْرٍ	فَابْلُغُوا فِيهِ تَمَامَهُ
إِنَّ هَذَا النَّذْلَ مِنِّي	رَامَ مَا أَشْوَى مَرَامَهُ
رَلَّ عَنْ يُمْنَاهُ خَيْرٌ	وَشِمَالِي ⁷⁵ عَنْ كَرَامَهُ
وَخَبَانِي ⁷⁶ خَاتَمِي فِي	رَوْحٍ ⁷⁷ عَنْ كَرَامَهُ
ثُمَّ جَاءَتْهُ عَلَى مَا	سَبَقَتْ مِنْهُ نَدَامَهُ
كَلَّمَا لِقَاهُمَا فِي	إِصْبَعِي لِاقِي حِمَامَهُ
فَتَعَاطَى فِي ارْتِجَاعِ الشَّدِّ	يَاءٍ إِبْرَارَ السَّهَامَهُ
قَالَ لِي هَلْ لَكَ فِي اللَّعْدِ	بِ عَلَى سَمْتٍ ⁷⁸ اسْتِقَامَهُ
قُلْتَهُ ⁷⁹ لِي بَلْ وَلَكِنْ	أَنْتِ أَضْغَى مِنْ نَعَامَهُ

⁷³ و: لغيرها.

⁷⁴ ط ٣، ط ٤: المهلكة.

⁷⁵ و: وشمال.

⁷⁶ و: وجاءني.

⁷⁷ فيروزج: سقطت من و.

⁷⁸ سقطت ورقة من إحتي قوله: يعطي الخطر ثم تناول الخاتمين.

⁷⁹ ط ١، ط ٢، د: قلت.

مَ وَأَوْفِيكَ الْعَرَامَةَ	ثُمَّ لَا أَمْتَحُكَ الْجِدَّ
لَا صَغُونَا بِقَلَامِهِ	فَتَعَاهَدُنَا جَمِيعًا
نِ وَأَثَرْتُ احْتِشَامَهُ ⁸⁰	وَضَعَى طَوْرًا وَطَوْرِي
وَ ⁸¹ عَلَى حِلْمِي حِرَامَهُ	ثُمَّ لَمَّا ضَيَّقَ الضُّعْفُ
لَأَمِيطَنَّ لِثَامَهُ	سَبَقْتُ مِنِّي يَمِينُ
نِي بَصْعُوٍ وَاسْتِضَامَهُ	قَلْتُ يَا مَنْ يَتَّعَاطَا
وَابْدَلُ العِرْضَ عَرَامَهُ	أَحْرَزِ الْخَاتَمَ عَنِّي
ثُمَّ لِلأَمْرِ خِتَامَهُ	وَلئنْ لَمْ يَجْعَلِ الْخَا
لِمَخَازِيهِ الْقِيَامَهُ	لَأَقِيمَنَّ لِنَشْرِي
سِ الَّذِي تَخْتُ العِمَامَهُ	وَأُذِلَّنَّ عَلَى الرَّأ
مِ وَلَكِنَّ بَعْدَامَهُ	وَسَيُغْنِي بِالْحَوَاتِي
مِنَ المَخِّ عِظَامَهُ	بَعْدَ أَنْ أُحْلِيَّ بِالذُّلِّ

ثُمَّ تَطَاوَلت الأَيَامَ بَيْنِنَا وَجَعَلَ لَا يَأَلْفُ بَيْنِنَا أُلْفَةً، وَاتَّفَقَ أَنَا اجْتَمَعْنَا يَوْمَ عِيدٍ عَلَى مَائِدَةِ الأَسْتَاذِ أَبِي الحَسَنِ ابْنِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللهُ فَأَمْسَكْتُ عَنِ الطَّعَامِ، فَقَالَ مَا لَكَ لَا تُطْعِمُ، فَقُلْتُ وَأَشْرْتُ إِلَى القَائِمَانِي [مِنَ الرَّجْزِ]:

مَهَلًا أُنَيْتَ اللُّغْنَ لَا تَأْكُلْ مَعَهُ
 اسْتَعْفِ مِنْهُ وَتَجَنَّبْ قَرَعَهُ
 فَإِنَّهُ⁸² يُنْجِي عَلَيْهِ إِضْبَعَهُ
 يَحُكُّ تَلْكَ الهَامَةَ المَلْمَعَهُ
 لَا تُدْنِهِ وَذَلِكَ الرَّاسُ مَعَهُ
 وَأَمْرُهُ إِنْ أَدْنَيْتَهُ أَنْ يَضَعَهُ
 إِنْ لَمْ يُزَالِ⁸³ مِنْ حِمَاكَ مَوْضِعَهُ
 فَارِسْمٌ لِقَرَاثِكَ ذَا أَنْ يَصْفَعَهُ

⁸⁰ و: أمامه.

⁸¹ و: الطعن.

⁸² م، و: إنّه.

⁸³ ط، ٢، ٣، د: يزال.

فأطرقت الجماعة وبقي الأستاذ الفاضل ثم قال: يا مولاي إن لم تحثمني فاحتشم المائدة وأهلها. فقلت: أطال الله بقاءك ما أسرع ما أراك تتقزز، وحياتك التي تعز علي لأتشدنك ألف بيت بعضها يلعن بعضا إلى أن يعطيني خاتميه عطاء مغربا.⁸⁴ فقال الأستاذ: أمر الخاتمين أسهل، فما السبب الذي أحوجك إلى ما قلت؟ فقصصت القصة عليه، فمال⁸⁵ إليه وقال: أشهد أنك ساقط الهمة إنه ما⁸⁶ علمت أنه فمر أرقم⁸⁷ يعطي الخطر، ثم تناول الخاتمين منه وناولنيهما⁸⁸ وسألني السكوت عنه وعاهدته أن لا أزيد. فكتب إلي بعض كتابه [من الهزج]:

أنا أمدح مولاي	فلا أقطع أنفاسي
وأسترسل في كلا	مهم حسب إيناسي
فأعظم حاجتي عند	ك أن تجبه بالناس ⁸⁹
هجو القايجاني	بقلب في الهجا قاسي
ولا بالقول في الأم	ولا في الأخت من باس
فقل في الكل ما شئت	وجلجلهم بأجراس
بل هب لي وللناس	وللعشرة والكاس
وهب لله يا مولا	ي خرمي ذلك الراس

وشكا القايجاني إلى الأستاذ ذلك، فكتبت إليه [من الهزج]:

نصخنا القايجاني	فلم يصغ إلى النصح
وقلنا كن بذا الراس	مع الناس على صلح
فللحافظ في فيه	لسان الهجو والمدح
وتلك الهامة البيضاء	ء مثل الورق ⁹⁰ الطلح
لها فيها إذا شاء	مقال الذنب والقذح
فلم يصغ إلى النصح	وقد بط عن القرح

⁸⁴ و: مغرما.

⁸⁵ و: فما بال.

⁸⁶ ط: ٣: أوما.

⁸⁷ و، ط: ٣: تمر أو قمر. ط: ١، ٢، ٤، ٤، د، م: فمر أو قمر.

⁸⁸ م: وناولنيها.

⁸⁹ ط: ٢، ٣، ٤: الناس. ولا يستقيم الوزن به. إ: بالبأس.

⁹⁰ ط: ورق. ولا يستقيم الوزن به.

IV - التعليق والتحليل

أ. الهمذانيّة

تبدأ أحداث المقامة الهمذانيّة مع وصول الراوية عيسى بن هشام إلى مدينة همدان، وتصريحه بأنّ الدهر وتقلباته هي التي دفعته إلى ذلك.

يصف الراوية، بعد هذه الافتتاحيّة، مدينة همدان؛ بأنّها " بَلَد زَعَامَةِ الشَّرِيفِ الحَسَنِيِّ". ثمّ يَحْصَلُ إذنًا لدخول مجلس الأخير. وبعد إطالة عيسى لتحية الحاكم والسلام عليه، يلاحظ حاشيته وجلاسه، فيخطف انتباهه رجلٌ يقول عنه إنّهُ "المنتمي لابن المشرف الكاتب" وآخر من قرية "الدسكرة". يهتمّ هذا الرجل بالدولة العبّاسيّة وبالقرى والنواحي المحيطة ببغداد، شوارعها وأزقتها. وهو ذائع الصيت بمعرفته بأداب العبّاسيين. يلاحظ عيسى أنّ هذا الرجل قد أصبح شاعرًا، ولكنّه لا دِعْلٌ ولا أبي نؤاس ولا نصر بن أحمد شاعر البصرة ولا المتنبّي شاعر الشام. هذا الرجل على خلاف هؤلاء الشعراء المذكورين قد استقرّ في مجلس الحَسَنِيِّ.

يستمتع عيسى بن هشام بعد ذلك للشاعر، الذي يرفع صوته، "عقيرته"، وهو يقرأ قصيدته بصوت عالٍ أشبه بصوت "قَصَبٍ أَجَشٍّ مُهْضَمٍ". تبدأ القصيدة مع الأبيات الشعريّة ١-٤ بنوحه وحنينه لبيوت ومساكن عزيزة سابقة. لينتقل في البيت الخامس إلى الحديث عن "الشيب والشباب". ثمّ يستحضر الشاعر في البيت السابع أسماء بعض الأماكن من ضواحي بغداد وسامراء والمطيرة والكرخ ودير فُنا الذي يذكره الشاعر في البيت الأوّل.

ينتقل الشاعر بعد هذه المقدمّة إلى الثناء على الشريف في البيت الحادي عشر وما يليه. فيسرد في تلك الغاية نماذج نمطيّة من ثيمة المديح ليُثني فيها على كرم الشريف، يذكر مثلاً الجود في البيت ١٢، والعطاء في البيت ١٣، والإحسان في البيت ١٦. ويمتدح الشاعر في سياق الأبيات السابقة الشريف الذي أعانه ونصره على أعمال الدهر وتقلباته. ويظهر أوّل ذكر لفكرة "الزمان" في البيت الثالث من القصيدة، فيمثّل الشاعر لهذه الفكرة من خلال استذكاره للوطن الخياليّ المفقود الذي استعاده شعريًا من خلال المديح. يعود الشاعر إلى استحضار فكرة "الزمان" في البيت الثاني عشر بوجهٍ مباشر، ثمّ يحتقل في البيت التاسع عشر بغلبته على "الزمان" بمعونة الشريف. ويشير الشاعر بغموض في السطر الأخير من القصيدة إلى كونه قد خبر من الناس بخلهم وجودهم. ثمّ ينتقل، بعد ملاحظته لعيسى بن هشام، لعرض رحلته إلى مجلس الحَسَنِيِّ.

يختم الشاعر خطبته بالتفاتة إلى الراوية ومعاينته ليتأكد من هويته.⁹¹ ثم ينشد بيتاً من الشعر يعرض فيه لمحِبِّ تعترضه خنفساء —جُعَلْ— كلما حاول الوصول إلى محبوبته. وعبر استحضار سياق يكون المحبوب فيه هو الشريف والمحِبُّ هو الشاعر يمثّل الشاعر، عن غير قصد، وقوف الراوية عيسى بن هشام بالخنفساء التي تحول بينه وبين محبوبه الشريف. ثم يتدارك الشاعر هذه الزلّة فينشد بيتاً لكثير (ت ١٠٥/٦٢٣) يصرّح فيه بأنّه يلتقي محبوبته ليلي أينما حلّ أو ارتحل.⁹² يردّ عيسى بن هشام على الشاعر ببيت آخر لمحبِّ يعدُّ محبوبته بأنّه لن يكشف سرَّ محبّتها.

ب. الشريفة (مقامة ورسالة)

الرواية في هذه المقامة هو محمد بن عيسى بن هشام، فهو بالتالي ابن الرواية النمطي في مقامات الهمذاني، يحكي الرواية في مطلع المقامة عن "رؤيته" لأبي الفتح الإسكندري وهو يكتب للشريف الحسنّي نيابة عن طاهر بن محمد الإسكندري. وعلى الرغم من عدم توافر أدلة واضحة تُحيلنا على حقيقة هذا الاسم، تقترح هذه الافتتاحية احتمالية كون أبي الفتح الإسكندري هو كاتب الرسالة مُستخدمًا في ذلك اسم رجلٍ آخر. ذلك أنّ اشتراك الاسمين بالنسبة ذاتها يُحيط المقامة بالغموض ما يجعلها مُلتبسة على القارئ. يعرض كاتب الرسالة رغبته بالعودة إلى مجلس الشريف الحسنّي، فيمتدحه لكرمه وجوده. ثم يُبرّر ابتعاده عن مجلسه بأنّه لم ينطو على ضغينة، "قلّي"، بل كان من أعمال الدهر وتصاريفه. يُظهر الكاتب ندمه على هذا الابتعاد، مُصرّحاً بأنّ "أخلاق" الآخرين ما زالت تذكره بأخلاق الحسنّي، فبُخل الآخرين دائماً ما يستدعي إلى ذاكرته كرم الشريف. ثم يصف الكاتب حالته مستشهداً ببيت للشاعر الإسلاميّ المرار بن منقذ العدويّ (ت في أوائل القرن ٥٢/٨م).

يبدأ الكاتب بعد ذلك سردًا مُطوّلًا في مديح الشريف ونسبه النبيل، واصلًا إياه بنسب النبيّ محمد. ليتمدح الكاتب بعد ذلك نسبه هو على أنّه "الإسكندريّ". ثم يصرّح بأنّه كان، في تجواله وقبل إقباله على مجلس الشريف، قد غلب على أمره بالقلق والخوف والأرق، مقارنًا بين حاله السابقة وحاله هذه. يستذكر الكاتب المنزلة الرفيعة التي وضعه فيها الشريف في السابق، ويتحدّث في نهاية الرسالة عن رغبته وتوقّه للعودة إلى مجلس الشريف الحسنّي، معتمدًا في ذلك على لغة شعريّة مسجوعة.

ج. المقامة الخاتمية

يروى عيسى بن هشام أنّ "الأستاذ الفاضل أبو عليّ الحسن بن أحمد" كان قد "ورّع" عليه بعض المال. وعيّن أبا سعد القابجانيّ "خليفة" له في دفع هذا المال لمُستحقّيه.

⁹¹ من طبيعة المقامات تُعرّف عيسى على أبي الفتح، غير أنّ أبا الفتح في هذه المقامة هو من تعرّف على عيسى.

⁹² قد يُفهم هذا البيت تصريحًا لأبي الفتح عن محبّته واحترامه للشريف.

وكان لأبي سعد "زُوجاً خاتم لم يُعَرَفَ قيمتهما"، فقام بعرض زوجٍ من هذه الخواتم على عيسى بن هشام بَدَل المبلغ الذي منحه إياه الأستاذ الفاضل. فوافق عيسى على تلك المُقايضة وأخذ زوج الخواتم. وبعد أن تَمَّت المُقايضة، علم أبو سعد أنَّ هَذَيْنِ الخاتَمَيْنِ يعادِلان ضعف المبلغ المُستَحَقَّ عليه لعيسى بن هشام، فراح يُخَطِّط لاسترجاعهما، مُحاجِّباً عيسى بأنَّه لا يصحُّ ولا يعدل أن يمتلك أحدهما زوجاً واحداً من الخواتم من دون الآخر.

إقترح أبو سعد على عيسى أن يلعبا الشطرنج في بيته على أن يقع رهانهما على زوج الخواتم. فذهبا إلى بيت أبي سعد وشرعا باللعب، ثمَّ انتبه عيسى لغشَّ أبي سعد، فحلف الأخير بأنَّه لن يغشَّ بعدها أو يخادع، "فحلفَ أنَّه لا يضغو، ولعبنا وضغاً". فانفصل عيسى عن مجلس أبي سعد وترك داره، غاضباً على غشه إياه وسلبه ماله وصمَّ على ردِّ حصَّته. فكتب عيسى رسالةً لأبي سعد يطالبه فيها برَدِّ الخاتَمَيْنِ. ولكن أبا سعد تعنَّت ورفض.

عرف عيسى بن هشام آنذاك بحساسية أبي سعد المفرطة لصلعه. وبالفعل، كان أبو سعد يتحرَّج كثيراً من صلعه؛ حتَّى إنَّ أحداً لا يستطيع ذكر أيِّ كلمة تشترك حروف جذرها مع جذر "صلع"، من دون أن يُفكِّر برَدِّ فعل أبي سعد وسخطه من ذلك. فاختار عيسى أن يتعرَّض لصلع أبي سعد من خلال هذه الأُسُطر:

أبا سَعْدٍ رُوَيْدِكَ فِي مَراسِكَ	وَلَا تُبْرِزُ بِكَيْدِكَ لِي وَباسِكَ
أَنْقَمَرُنَا زُبَيْدَةً ثُمَّ تَضَغُو	وَتَوَعِدُنِي وَعِنْدَكَ سُورُ كاسِكَ
أَغْرَكَ فَرَطُ حِلْمِي وَاحْتِمالي	لِرَجْعِكَ خاتَمِي بل اِحْتِباسِكَ
فَإِنْ لَمْ أَرْتَجِعْهُ مِنْكَ صُغْرًا	فَتَحْتُ عَمامَتِي راسي كَراسِكَ

تُنسَب الأبيات الأولى والثالث والرابع من هذه القصيدة إلى بديع الزمان الهمذاني في ديوانه.⁹³ بينما تُضيف المقامة إلى أبيات الديوان البيت الثاني، وفيه يُثير عيسى بن هشام، على وجه مثير للاهتمام، غضبه على طبيعة الغشِّ والاحتيال التي لاقاها في تعامله مع أبي سعد.

لم تُجدِ قصيدة عيسى بن هشام الساخرة والمتهمِّمة في تغيير موقف أبي سعد، بل ولم تُفلح في تخفيف التوتُّر. إذ ردَّ أبو سعد بالتهديد والوعيد، لِيُعَقَّبَ عيسى بأبيات أخرى يسخر فيها من صلعه. وعند إدراك أبي سعد صعوبة حلِّ هذه المسألة، استعان ببعض الكُتَّاب على عيسى بن هشام، ليسألوه التخلِّي عن الخاتَمَيْنِ وأن يرضى بزواج الخواتم الذي كان عنده في الأصل. ثمَّ يكتب عيسى بن هشام قصيدة يشرح فيها للكُتَّاب أنَّه هو من خُدع من قِبَل أبي سعد.

⁹³ ديوان بديع الزمان الهمذاني. ص ٨٧. السطر ٢ هو إضافة إلى البيت ولم نستطع إيجاده في المصادر.

وبعد مرور الأيام، دعا الأستاذ أبو الحسن، صاحب الأُعطية، عيسى بن هشام إلى مأدبة، وصدق أن كان فيها أبو سعد القايجاني حاضراً. فلما رأى عيسى بن هشام أن أبا سعد بين الحاضرين رفض المشاركة في الطعام. وعند استفسار مُضيفه عن امتناعه، أشار عيسى إلى أبي سعد وأنشأ يقول فيه أبياتاً شعريّة يتهكّمه فيها ويُهينه. فأمر الأستاذ أبو الحسن أبا سعد أن يُعيدَ الخواتم إلى عيسى بن هشام الذي تعهّد بدوّره بعدم التعرّض لأبي سعد بعدها.

تنتهي القصة بقصيدة أرسلها أحد الكتبة إلى عيسى بن هشام، يمتدح فيها سخريته من أبي سعد القايجاني. فعلم أبو سعد بشأن الرسالة وراح يشتكي إلى الوزير أبي الحسن. ويُنتهي عيسى بن هشام المقامة بأبيات يُذكرُ فيها أبا سعد بتحذيره السابق له.

V - الخاتمة

تبدو المقامات الثلاث التي تُولف موضوع هذا البحث والمنسوبة إلى الهمذانيّ للوهلة الأولى نوعاً صريحاً من الخداع الأدبيّ. وإنّ شكوكنا حيالَ مُحتوى مخطوط سواس ٤٧٢٨٠ تزيد من صعوبة تحديدنا تاريخ إدراج هذه المحتويات في مخطوطات مقامات الهمذانيّ. فإتّنا، وبناءً على المخطوطات الموجودة حالياً، غيرَ واثقين ما إذا كانت هذه المقامات الثلاث قد زيدت على مجموع المقامات في القرن ١٢/هـ أم أو أنّها زيدت في القرون اللاحقة. وعلى أية حال فإنّ وجود هذه المقامات في قرابة ربع مخطوطات مقامات الهمذانيّ لأمرٌ يدعو إلى التفكير فيها إذا أراد الدارسون دراسةً جادّةً للمقامات.

تشارك هذه المقامات مع مقامات الهمذانيّ الموثوق بها ببعض الملامح والميزات الهامّة. فالمقامة التي سمّيناها "الهمذانيّة"، على سبيل المثال، تحمل خاصيّة البيكاريسك المنتشرة في بعض مقامات الهمذانيّ. ونلاحظ في هذه المقامة ثيمة "الدهر" التي تكوّنُ عنصراً أساسياً في بناء بعض مقامات الهمذانيّ. وتظهر ثيمة "التعرّف" أو "الكشف" في هذه المقامة وهي عنصر أساس في مُجمل مقامات الهمذانيّ.

أمّا المقامة والرسالة والتي اخترنا أن نُطلق عليها عنوان "شريفية" فهي تُحيلنا في بعض ملامحها إلى مقامات الهمذانيّ. ومن هذه الملامح كونها على لسان راوية هو محمّد ابن الشخصية الخياليّة عيسى بن هشام، الراوي النمطيّ في مقامات الهمذانيّ. يظهر هذا النصّ كرسالة مُزوّرة، غير أنّ هذا التزوير يجزّ النصّ إلى خداع آخر بخصوص اسم أبي الفتح الذي يُحيلنا إلى شخصية مُختلفة وغير حقيقيّة. يستدعي تراكم الزور على الاحتيال آليّة التخيل البلاغيّة التي تراكم استعارةً فوق أخرى وبالتالي تقدّم برهاناً مغلوّطاً مبنياً على زيف.⁹⁴

94. Van Gelder and Hammond, *Takhyl*, 11.

أمّا المقامة الخاتميّة فهي تشترك مع نمط المقامات ببعض السمات والخصائص. توافق حبكة المقامة، على سبيل المثال، نمط "الفرج بعد الشدة". نرى أنّ الراوية يبدأ هذه المقامة بمعاناته سوء معاملة عامل الشريف له، لتنتهي المقامة بخلاص الراوية.⁹⁵ تتضمّن هذه المقامة ثلاثة أبيات شعريّة منسوبة إلى الهمذانيّ في ديوانه، تعرض بذلك نصّاً همذانيّاً أصيلاً في سياق القصة. والملاحظ أنّ معظم العناصر الرئيسيّة في حكاية المقامة الخاتميّة مستقاة من معاني القصيدة المذكورة. فهناك مثلاً معاناة الراوية من حيلة رجل يُدعى أبا سعد، ومطالبته باستعادة زوج الخواتم، وصره الشديد على ذلك؛ وتهديده لأبي سعد إن لم يُعد إليه الخواتم، وسخريته من صلعه واستهزاؤه منه. تضيف المقامة، كما ذكرنا سابقاً، بيتاً واحداً إلى الأبيات الثلاثة الموجودة في ديوان بديع الزمان، يرسم هذا البيت بوجهٍ مثير للاهتمام طبائع الاحتيال والغشّ والخداع الموجودة في مقامات الهمذانيّ بوجهٍ عامّ.

وعلى الرغم من كون المقامات الثلاث السابقة غير موثوقة النّسبة إلى الهمذانيّ، بل وترجيحنا لزيف هذه النصوص، فإنّها تدعونا —نحن الدارسين— إلى النظر في الطرق المحتملة لدخول نصوص جديدة على نصّ مقامات الهمذانيّ. فإنّ وجود هذه المقامات في أكثر من ربع مخطوطات مقامات الهمذانيّ يجعلنا نعتقد أنّ النّسّاخ اللاحقين اعتبروا هذه المقامات مقاماتٍ بديعيّة.

تختلف المقامات المُسمّاة بـ"المقامات المدحيّة"، والتي بدأ ظهورها في مجموعات مقامات الهمذانيّ بدءاً من القرن ١٠هـ/١٦م، عن المقامات المنسوبة إلى الهمذانيّ في المجموعات الأقدم للنصّ. كما لم يدفع ظهورها اللاحق في مجموعات مقامات الهمذانيّ الدارسين للتشكيك بموثوقيتها. وعلاوةً على ذلك، فإنّ نسبة نصوص إلى الهمذانيّ بالصنعة والتعقيد اللذين نجدهما في المقامات الثلاث التي حللناها، تقدّم إلى دارسي المقامات والنقاد سبباً وجيهاً للتنبّه وأخذ الحيطة في قضية موثوقيّة نسبة أيّ مقامة متأخرة إلى الهمذانيّ.

⁹⁵ أنظر:

Beeston, "The Genesis of the Maqāmāt Genre"; Ashtiany [Bray], "Al-Tanūkhī's al-Faraj ba'd al-shidda"; Pomerantz, "The Play of Genre".

جدول ١: مُحتوى أقدم مخطوطات مقامات الهمذاني:

مخطوط فاتح ٤٠٩٧	مخطوط سواس 47280	مخطوط يال سالسييرغ ٦٣	طبعة محمّد عبده	
1	1	1	13	١- بصريّة
2	2	2	14	٢- فزاريّة
3	3	3	18	٣- قزوينيّة
4	4	4	3	٤- بلخيّة
5	5	5	5	٥- كوفيّة
6	6	6	1	٦- قريضيّة
7	7	7	20	٧- قرديّة
8	8	8	21	٨- موصليّة
9	9	9	6	٩- أسديّة
10	10	10	23	١٠- حرزيّة
11	11	11	24	١١- مارستانيّة
12	12	12	26	١٢- وعظيّة
13	13	13	16	١٣- مكفوفيّة
14	14	14	15	١٤- جاحظيّة
15	15	15	17	١٥- بخاريّة
16	16	16	8	١٦- أذربيجانيّة
17	17	17	2	١٧- أزاذيّة
18	18	18	19	١٨- ساسانيّة
19	19	19	9	١٩- جرجانيّة
20	20	20	4	٢٠- سجستانيّة

10	20	21	21	٢١- أصفهانيّة
29	21	22	22	٢٢- حمدانيّة
11	22	23	23	٢٣- أهوازيّة
12	23	24	24	٢٤- بغداديّة
7	11	25	25	٢٥- غيلانيّة
30	34	26	26	٢٦- رصافيّة
41	26	27	27	٢٧- وصيّة
43	27	28	28	٢٨- ديناريّة
33	28	29	29	٢٩- خلوانيّة
51	29	30	30	٣٠- بشريّة
25	31	31	31	٣١- مجاعيّة
	32	32	32	٣٢- شاميّة
22	10	33	33	٣٣- مضيريّة
36	33	34	34	٣٤- أرمنيّة
42	30	35	35	٣٥- سيمريّة
35	45	36	36	٣٦- إبليسيّة
27	46	37	37	٣٧- أسوديّة
28	47	38	38	٣٨- عراقية
34	35	39	39	٣٩- نهديّة
32	36	40	40	٤٠- شيرازيّة
50	49			٤١- مطلبيّة
	48			٤٢- طبيّة

	50		٤٣- رسالة ١
		41	٤٣- همدانيّة
		42	٤٤- رسالة ٢
		43	٤٥- خاتميّة
	37	44	٤٦- مُلحة ١
	38	45	٤٧- مُلحة ٢
	39	46	٤٨- مُلحة ٣
	40	47	٤٩- مُلحة ٤
	41	48	٥٠- مُلحة ٥
	42	49	٥١- مُلحة ٦
	43	50	٥٢- مُلحة ٧
31			٥٣- مغزليّة
37			٥٤- ناجميّة
38			٥٥- خلفيّة
39			٥٦- نيسابوريّة
40			٥٧- علميّة
44			٥٨- شعريّة
45			٥٩- ملوكيّة
46			٦٠- صُفريّة
47			٦١- ساريّة
48			٦٢- تميميّة
49			٦٣- خمريّة

قائمة المصادر والمراجع

المصدر

– بديع الزمان الهمذاني، ديوان بديع الزمان الهمذاني، تحقيق يسري عبد الغني، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧.

المراجع

- Ashtiany [Bray], Julia, “Al-Tanūkhī’s al-Faraj ba’d al-shidda as a Literary Source”, in Alan Jones (ed.), *Arabicus felix: luminosus Britannicus: Essays in Honour of A.F.L. Beeston on His Eightieth Birthday*, Reading, UK: Ithaca Press, 1991, 108-115.
- Beeston, A.F.L., “The Genesis of the Maqāmāt Genre”, *Journal of Arabic Literature* 2 (1971), 1-12.
- Gelder, Geert Jan van, and Marlé Hammond (eds.), *Takhyīl: The Imaginary in Classical Arabic Poetics*, Oxford: E.J. Gibb Memorial Series / Exeter: Short Run Press, 2008.
- Hämeen-Antilla, Jaakko, *Maqama: A History of a Genre*, Wiesbaden: Harrassowitz, 2002.
- Orfali, Bilal, and Maurice Pomerantz, “A Lost Maqāma of Badī‘ al-Zamān al-Hamadānī?”, *Arabica* 60 (2013), 245-271.
- Pomerantz, Maurice A., “The Play of Genre: A Maqāma of “Ease After Hardship” from the Eighth/Fourth Century and Its Literary Context”, in Pomerantz ed. *The Heritage of Arabo-Islamic Learning: Studies in Honor of Wadad al-Kadi*, 461-482.
- Rowson, Everett, “Religion and Politics in the Career of Badī‘ al-Zamān al-Hamadhānī”, *Journal of the American Oriental Society* 107 (1987), 653-673.
- Stewart, Devin, “The maqāma”, in Roger Allen and D.S. Richards (eds.), *The Cambridge History of Arabic Literature: Arabic Literature in the Post-Classical Period*, Cambridge: Cambridge University Press, 2006, 145-158.